

البريد المركزي بمدينة الجزائر وظروف تشييده

1913 - 1910

"الموريسكية الجديدة : تاريخ وتراث في عصر

عمر راسم"

د. عبد العزيز شهي

المدرسة العليا للأدب

والعلوم الإنسانية

بوزريعة-الجزائر

مقدمة :

استمر التعسف الاستعماري في الجزائر مع مطلع القرن العشرين، حيث ظهرت المحاكم الرادعة عام 1902، التي تعطي للحاكم العام ومساعديه حق المحاكمة والسجن والطرء والنفي، وتجدد قانون الأهالي، وطبق منشور جوناو عام 1906 الذي كان ضد الحريات العامة.

ولتهدة الأوضاع في هذه الفترة، جاء "جوناو" الحاكم العام للجزائر ببرنامج إصلاحى، مسّ الجانب الاجتماعى والثقافى، لا سيما الصحة والتعليم، وبعث التراث المكتوب، وإحياء فن العمارة الإسلامى في مباني جديدة، كمقر ولاية الجزائر والبلدية وبرى الأبار وغيرها.

هذا النمط من البناء عرف "بالموريسكية الجديدة"، وهو يجسده أكثر البريد المركزي بمدينة الجزائر، فأبدع فيه البنّاءون المهرة، وتفنن فيه الفنانون المزخرفون.

أمّا النخبة الجزائرية، فتجاوبت مع مستجدات الساحة الوطنية والدولية، وشهدت حركة سياسية وثقافية وإبداعية، تمثلت في صدور الصحافة الوطنية، وتكوين النوادي والجمعيات الإصلاحية، وبروز النشاطات الثقافية والفنية، بأكثر كثافة وحيوية مما كانت عليه في القرن الماضي، وهي في نفس الوقت وسائل لمقاومة الاحتلال الفرنسي إلى جانب الثورات المسلحة.

في هذه الظروف، شارك الصحفي والفنان "عمر راسم" بتحريره جريدة "الجزائر" الشهرية عام 1908، ذات اللسان العربي، وقد كان يهدف بذلك العمل إلى توعية الجزائريين وتثقيفهم⁽¹⁾.

في تلك الأثناء كان الحاكم العام للجزائر جونار، فمن هو "جونار" الحاكم العام للجزائر؟ وما هي سياسته؟ وما هي مظاهر حركته الموريسكية الجديدة، التي جسدها البريد المركزي بمدينة الجزائر؟

1) - التعريف بـ"جونار" الحاكم العام للجزائر في مطلع القرن العشرين ومساره المهني :

هو : "شارل سيليستين أوغوست جونار" Charles Célestin Auguste Jonnart، انحدر من عائلة بورجوازية بشمال فرنسا، وولد في Fléchin -en -Artois يوم 27 ديسمبر 1857، وتوفي بها يوم 30 سبتمبر 1927.

زاول دراسته في Saint-Omer ، ثم تابعها في Paris بكلية الحقوق. عينه Léon Gambetta في 1881/12/22 ملحقا بمكتب الحاكم العام للجزائر Louis Triman. هذا التعيين كان البداية لمسار حياة جوناو في الإدارة والسياسة ، كما كان سلم الارتقاء في الجزائر ، الذي أوصله من ذلك المنصب إلى مدير مكتب الكاتب العام عام 1882 ، ثم أصبح مديرا مساعدا بمكتب الحاكم العام (1882 - 1883) ، وفي النهاية صار أمينا لمجلس حكم الجزائر (1883 - 1885).

انتهت هذه المرحلة بمغادرة جوناو من الجزائر إلى فرنسا في نوفمبر 1885 ، ولكنها جعلت منه شخصية بارزة ذات كفاءة عالية. فتم تعيينه مديرا لشؤون الجزائر بوزارة الداخلية عام 1885 قبل دخوله إلى قصر بوربون (Palais Bourbon)⁽²⁾. وقد انتخب عام 1886 مستشارا عاما في Saint-Omer.

في سبتمبر 1889 ، انتخب جوناو نائبا جمهوريا بدائرة Saint-Omer ، مقاطعة Pas-de-Calais⁽³⁾ ، وبدأت اتصالاته في غرفة النواب برجال الحزب الاستعماري Parti colonial الذي كان في طور التكوين.

كانت غرفة النواب أهم حلقة في حياة جوناو السياسية ، حيث قادته إلى الزواج عام 1891 بآبنة نائب ليون Edouard Aynard ، وهو شخصية بارزة في عالم الأعمال والمال ، فهو رئيس غرفة التجارة بليون ، ومحافظ بنك فرنسا ، وقد كان Aynard عضوا مؤسسا للجنة إفريقيا الفرنسية ، وعضوا في الجمعية التاريخية للمستعمرات

الفرنسية، ومنتميا للجماعة الاستعمارية بغرفة النواب. قدم Aynard دعما معتبرا لجونار، وضمه إلى البورجوازية الليونية.

في عام 1892، أصبح جونار عضوا في التنظيم الاستعماري بغرفة النواب، والذي كان يتزعمه في ذلك الحين Eugène Etienne. ثم صار جونار من رواد الحزب الاستعماري، نظرا لعلاقاته المختلفة بشخصيات الحزب، خاصة Etienne، والأمير Auguste d'Arenberg. منظم الحزب، ورئيس لجنة إفريقيا الفرنسية التي نشأت عام 1890⁽⁴⁾. وبعد إعادة انتخاب جونار في غرفة النواب عام 1893، أصبح مقرا لميزانية الجزائر. وفي العام نفسه اختاره Jean Casimir-Perier لمنصب وزير الأشغال العمومية، فشغله من 3 ديسمبر 1893 إلى غاية 25 ماي 1894.

وفي عام 1894 انتخب جونار عضوا في مجلس الشيوخ Sénateur du Pas-de-Calais. تولى جونار وظيفة الحاكم العام للجزائر، بتعيين من حكومة Waldeck Rousseau، في المرحلة الأولى من 3 أكتوبر 1900 إلى جوان 1901، واستقال لظروف صحية⁽⁵⁾، ثم عاد للمرحلة الثانية من 5 ماي 1903 إلى ماي 1911.

رجع جونار عام 1911 إلى فرنسا في خدمة البرلمان. وفي ديسمبر 1912 تولى رئاسة لجنة إفريقيا الفرنسية. عشية الحرب العالمية الأولى، شغل منصب وزير الشؤون الخارجية، في حكومة

Briand من 21 جانفي إلى 18 مارس 1913، وفي شهر ماي من نفس السنة تولى رئاسة شركة قناة السويس.

أثناء الحرب العالمية الأولى، كان جونار مقرا للجنة الشؤون الخارجية، وفي عام 1917 كان وزيرا للمناطق المحاصرة والمحرة في حكومة Clemenceau، ثم انتدبه الحلفاء إلى جانب ملك اليونان Constantin 1^{er} ليرغمه على التنازل.

عاد جونار حاكما عاما للجزائر في المرحلة الثالثة من 29 جانفي 1918 إلى جويلية 1919⁽⁶⁾. وبعد ذلك، تم تعيينه سفيرا لفرنسا في Saint - Siége، للقيام بمهمة حساسة، وهي بعث العلاقات الدبلوماسية مع الفاتكان Vatican، فنجح فيها.

في عام 1920 ترأس جونار الحزب الجمهوري الديمقراطي⁽⁷⁾.

تلك السيرة جعلت الأكاديميين ينتخبونه عضوا بالأكاديمية الفرنسية في 19 أفريل 1923⁽⁸⁾.

لقد عدد Jean Vavasseur -Desperriers، وهو المختص في تاريخ شارل جونار⁽⁹⁾، الهيئات التي كان هذا الأخير عضوا فيها، وهي على التوالي، باستثناء تلك التي ذكرت سلفا⁽¹⁰⁾ :

- الجمعية الجغرافية الباريسية (تأسست عام 1821).
- مجمع الدراسات الجزائرية (تكون عام 1898).
- قضية المغرب الأقصى (بدأت عام 1899).

- لجنة المشرق (تكونت عام 1908).
- الجمعية التاريخية للمستعمرات الفرنسية (تأسست عام 1912).
- لجنة آسيا الفرنسية (ابتداء من عام 1917).
- أكاديمية العلوم الأدبية والسياسية (منذ عام 1918).

(2) - سياسة الحاكم العام شارل جونار في الجزائر

أعجب جونار بالجزائر حين زارها عام 1876، وهو شاب، ووصفها وصفا رومانسيا، فكتب عن الطبيعة والحيوانات والسكان والأكل وإقامته وتنقلاته.

ثم شغل وظائف إدارية سامية في مكتب الحاكم العام للجزائر بين عام 1881 وعام 1885، فمن ملحق إلى مدير لمكتب الكاتب العام، إلى مدير مساعد بمكتب الحاكم العام، ووصولا في النهاية إلى أمين لمجلس حكم الجزائر⁽¹¹⁾.

وأثناء تأدية جونار لمهامه بغرفة النواب في فرنسا، كان دائما يتدخل حول مسألة إدارة الجزائر، ضمن مجال السياسة الاستعمارية. وتميز بتقرير صاغه عام 1892، حيث حث فيه على تحسين العلاقات بين السكان الأوروبيين والأهالي، وانتقد المعمرين. كما حمل هذا التقرير : التعسف والظلم، وجور القوانين، واقترح تحسين نظام البلديات الممتزجة، وتقنين قانون المسلمين، ووضع قسم رئيسي للجزائر بوزارة الداخلية، يعوض القسم القائم.

تلك الملاحظات تزامنت مع مهمة لجنة الشيوخ الثمانية عشر، التي قادها Jules Ferry إلى الجزائر بين ماي وجوان 1892. وكان هدفها الوقوف على تطبيق برنامج ينظم شؤون الجزائر، ووضع تشريع خاص بالمستعمرة.

ثم أصبح جوناو مقررًا لميزانية الجزائر بغرفة النواب، عام 1893⁽¹²⁾.

ولما تتابعت الثورات الوطنية في الجزائر، وعجزت فرنسا في القضاء على روح الثورة، رأت حكومة Waldeck Rousseau في جوناو الإداري الكفاء لتولي حكم الجزائر في هذه المرحلة، وتم تعيينه.

فجاء جوناو حاكمًا عامًا للجزائر في المرحلة الأولى من 3 أكتوبر 1900 إلى جوان 1901، حيث استقال متعللاً بأحواله الصحية. ثم عاد إلى منصبه في الجزائر للمرحلة الثانية من 5 ماي 1903 إلى ماي 1911.

في المرحلة الأولى من حكم جوناو، كانت مهمته ميسرة، بسبب الاستقلالية المالية للجزائر، التي تحصل عليها المعمرون ابتداء من ديسمبر 1900.

وابتداء من عام 1901، وعد الحاكم العام للجزائر جوناو بإصلاحات، وحدد رسمياً سياسة جديدة للأهالي، دعت "السياسة الاجتماعية". وتتص تلك السياسة على التخلي عن فكرة الإدماج، وإنما "تطوير المسلمين ضمن حضارتهم". وهي سياسة لا تحدث تغييراً

جذبها في مواقف الإدارة الاستعمارية بالجزائر. ولكنها تبرر فقط اختراقات القانون العام⁽¹³⁾.

وفي المرحلة الثانية، عندما عاد جوناك من جديد إلى حكم الجزائر عام 1903، قام بتشجيع دخول فرنسا إلى المغرب الأقصى، وكلف العقيد Lyautey (في ذلك الوقت) بمهمة تسيير العلاقات الجزائرية المغربية، واهتم بتطوير التجهيز الاقتصادي في الجزائر.

كما ظهر الحاكم العام جوناك مهتما بتحسين أوضاع المسلمين الجزائريين، فحاول التقرب من الخصائص الإسلامية، والقيام بإصلاحات اجتماعية وثقافية⁽¹⁴⁾ تجاه الأهالي. وترجمت تلك السياسة في برنامج اجتماعي، وإحياء التراث المكتوب⁽¹⁵⁾، وبعث فن العمارة الإسلامية في مباني إدارية وعمومية.

كان جوناك يهدف إلى تطبيق سياسة توافقية تجاه الأهالي أو تقريبهم في مختلف الميادين. فأنشأ قسما للهندسة المعمارية، وكلفه بمتابعة المشاريع، وترميم المباني العمومية. وجاء بطراز معماري جديد، جسد فيه مؤثرات العمارة الإسلامية والزخرفة الأندلسية. وهذا الطراز صار رمزا لحكم جوناك في الجزائر، وأطلق عليه اسم "نمط جوناك Style Jonnart"، لكنه اشتهر بالـ"موريسكية الجديدة néo-mauresque".

وفي هذا الإطار، شيد جوناك كثيرا من المباني العمومية الرائعة منها : البريد المركزي بمدينة الجزائر الذي أشرف عليه

المهندسان Voinot et Tandoire ، وكذلك بريد الأبيار، ومقر ولاية الجزائر، وبلديتها⁽¹⁶⁾، ونزل سيرتا بقسنطينة وغيرها.

وقدم الحاكم العام جوناو دعه في الميزانية من أجل إنشاء جامعة الجزائر عام 1909. وفي عهده أُعيد بناء المدارس الرسمية الثلاث (الفرنسية الإسلامية franco-musulmanes)، وهي مدرستي الجزائر وتلمسان بتخطيط Hanry Petit، ومدرسة قسنطينة بتنفيذ Ballu.

وفي ميدان الاجتماعي، تم إنشاء مراكز للتكوين المهني في الصناعات التقليدية، ومفتشية للعمل خاصة بالنساء، ومعهد باستور Institut Pasteur، وعيادات للإسعاف الصحي وتمريض الأهالي.

أما في المجال الفني، فتكونت مدارس للفن لاسيما الرسم، وفتح جوناو دار عبد اللطيف Villa Abdel-el-Tif لاستقبال الفنانين القادمين من فرنسا لأجل إقامة قصيرة بالجزائر⁽¹⁷⁾.

ومع ذلك إن المتتبع لمسيرة جوناو الاستعماري، يلاحظ أن سياسته تعتمد على تقوية الاستعمار وتمكينه بتنظيم شؤون الأهالي في المستعمرة واستمالتهم.

فهو لم يغير في الواقع دواليب الإدارة الاستعمارية، ولا قانون الأهالي الذي يعتبر الجزائريين الأصليين خاضعين وليس لهم حق المواطنة. ورفض الاستجابة للعريضة التي تقدم بها الأعيان المسلمون من أجل استرجاع أملاك الأوقاف. وبقي غامضا بخصوص الشكاوي التي وجهتها حركة الشبان الجزائريين.

ويؤكد Charles -Robert Ageron «أن جوناو لم ينجح في فرض أي إصلاحات مرتقبة، سواء على مستوى الإدارة أو سياسة الأهالي. فالإسعافات العامة والصحية للمسلمين بقيت رمزية أكثر منها فعالة»⁽¹⁸⁾.

وبالرغم من هذا، فإن سياسة جوناو تحطمت أمام وحشية المحتلين، وبقيت مشروعا استعماريا لم يخفف من وطأة العمرين الأوربيين على الأهالي الجزائريين. حيث وجد برنامج جوناو معارضة شديدة في حركة العمرين، حتى أنهم لقبوا صاحبه بمحب العرب (Arabophile). ولما جاء الأمبريالي Lutaud حاكما عاما للجزائر عام 1911، تضامن مع العمرين المحتلين ضد سياسة الإصلاح.

(3) - المورسكية الجديدة : Le Néo -mauresque

عندما جاء شارل جوناو Charles Jonnart حاكما عاما للجزائر، لثاني مرة عام 1903، كان يرى في نجاح الاستعمار الفرنسي لابد أن يمر قبل كل شيء عن طريق تقريب الأهالي واستمالتهم. وتكون هذه الاستمالة ثقافية واجتماعية. لذا أصدر الحاكم العام مجموعة من المراسيم، توجب نمطا معماريا في المباني العامة مستوحيا من العمارة الإسلامية. وبذلك أصبح جوناو باعثا لأسلوب معماري جديد، عرف بالحركة المورسكية الجديدة Le néo -mauresque.

ففي عام 1904، كانت البناءات المدرسية هي الأولى المعنية بتلك القرارات الإدارية، بسبب بعض المقاومة التي أظهرها المسلمون الجزائريون تجاه المدرسة اللائكية التي نشأت عام 1902. ولمراقبة

التعليم الديني عن قرب، كان أول بناء يشيّد على الطراز المورسكي الجديد، هو المدرسة القرآنية التي تقع بالقرب من ضريح سيدي عبد الرحمن بالقصبة السفلى، وتم فتحها عام 1904⁽¹⁹⁾.

وهكذا جاءت تعليمات الإدارة الاستعمارية في عهد الحاكم العام جونار، بأن تعتمد المورسكية الجديدة كنمط حكومي في المباني العامة. هذه الحركة تلاحظ من خلال عدة بصمات في العمارة الإسلامية، كالتيجان، والعقود، والقباب، وزخرفة الكتابة والخزف والجص المحفور.

وتجسدت المورسكية الجديدة في مجموعة من المباني العامة والإدارية، أمر جونار بتشييدها، منها: مقر الولاية، ومقر جريدة "La Dépêche algérinne" اللذين تولى انجازهما "Hanry Petit" عام 1906، بالإضافة إل البلدية، وبريد الأبيار، ومحطة وهران، وغيرها...⁽²⁰⁾

ويعد البريد المركزي من المنشآت الأساسية للمورسكية الجديدة بمدينة الجزائر، حيث أراد الحاكم العام جونار أن يشيد مبنى يكون رمزا للقوة الاستعمارية، ونجاح فرنسا في الجزائر، فكلف المعمارين "Jules Voinot et Marius Tondore" بانجازه، ليبدأ العمل عام 1910، وينتهي عام 1913.⁽²¹⁾

4 - مبنى البريد المركزي وزخرفته

كان اختيار المكان على بقايا حصن تركي قديم، يقع على رأس تافورة البحري، ومن أجل الحصول على مساحة كافية، تم

تحويل كنيسة انجليكانية بنيت عام 1870 ، إلى مقرها الجديد الذي انتهى بناؤه عام 1909 بمصطفى العلوي.

وتولى المعمارين "Jules Voinot et Marius Tondore" عملية تشييد البريد المركزي، بتكليف من الحاكم العام شارل جونار Charles Jonnart ، وهو موجه للبريد والاتصالات، وشرع في بنائه عام 1910 ، لينتهي عام 1913. وبدا بمظهر عمارة ضخمة في غاية الجمال والروعة، بعثت فيها عناصر العمارة الإسلامية وزخرفتها، أو ما سمي بالحركة الموريسكية الجديدة⁽²²⁾.

ومما تيسر وصفه من هذه الحلية المعمارية، مما يلي :

1 - المبنى من الخارج

يظهر البريد المركزي من الخارج ببنائته الضخمة الجميلة والفنية، ذات الطوابق الخمس من شبكة النوافذ المختلفة الأشكال. ويتميز هذا المبنى برواق مدمج يحيط بالطابق الأخير، ويتوجه طنف (كرنيش) مسنن ناتئ، ويعلوه إفريز من القرמיד الأسطواني أخضر اللون المبرق.

أما الواجهة فيحليها المدخل الرئيسي (الصورة 1).

2 - سطح المبنى

يحيط بالسطح شريط من الشرافات، وتعلوه في الوسط قبة كبيرة ثمانية الأضلاع. وبطرفي الواجهة ترتفع شبه مؤذنتان يحيط

بكل واحدة منهما في السطح سور قصير دائري متوج بالشرافات. وترتفع كل شبه مئذنة في الأعلى ببدن قصير مثنى، تعلوه قبة ثمانية الأضلاع، وتتناوب في أضلاعها أربع نوافذ صغيرة معقودة. ذلك لإعطاء المبنى ككل شكل المسجد الجامع، سواء من حيث المظهر الخارجي، أو من الداخل. وهو ما يترجم إحياء التراث الإسلامي في المباني العصرية ذات الطابع العمومي، أو ما يسمى بالحركة الموريسكية الجديدة (الصورة 2).

3 - الرواق العلوي الخارجي

من الخارج، وبأعلى طابق، يحيط بمبنى البريد المركزي، رواق مجوف على شكل شرفة مسقوفة. ويزين الرواق أعمدة ثنائية، تعلوها تيجان منحوتة، لتحمل العقود المتجاوزة المدببة. وبين هذه العقود نقش زخرفة نباتية توريقية، وأشكال ثمانية الزوايا، وضعت فيها أزرار. وبين ثنائيي الأعمدة وكحاجز، وضع درابزين معدني، يحمل زخرفة هندسية مختلفة الأشكال، وتقابله في الداخل نافذة كبيرة معقودة. وبأعلى الرواق يبرز طنف مسنن (الصورة 3).

4 - المدخل الرئيسي

يرتفع المدخل الرئيسي للبريد المركزي بسلم درجاته عريضة من الرخام. ويتكون من رواق مدمج عرضاً، تتقدمه ثلاث فتحات كبيرة ومعقودة. وهذه العقود محمولة على أربعة أعمدة، تعلوها أربعة تيجان. ويقابل الفتحات في الجدار الخلفي، ثلاثة أبواب، تعلوها نوافذ عالية معقودة (الصورة 4).

5 - أعمدة وتيجان المدخل الرئيسي

تتقدم المدخل الرئيسي أربعة أعمدة اسطوانية، صنعت من الرخام، وتعتمد على قواعد رخامية مربعة، وتعلوها أربعة تيجان تزينها مقرنصات العناصر المنحوتة في الرخام. وذلك لحمل عقود المدخل وتحليته. كما كسيت جدران المدخل ببلاطات الرخام (الصورة 5).

6 - سقف رواق المدخل الرئيسي

يعلو رواق المدخل الرئيسي سقف مرتفع، يتكون من باطن ثلاثة عقود متجاوزة، تحملها أعمدة وتيجان المدخل. وتصطف معها ثلاثة عقود أخرى، محمولة على عقود صغيرة بين الأعمدة والدعائم الجدارية. ثم تليها في الأخير ثلاث حنيات فوق الأبواب الرئيسية، لتعطى شكل محاريب كبيرة وجميلة. وينتهي السقف في الأسفل بشريط من مقرنصات العناصر المحفورة في الرخام.

أما زخرفة السقف فهي محفورة على الجص، تحليها متشابكات هندسية ممزوجة بعناصر نباتية، ونقوش كتابية في أشرطة (الصورة 6).

7 - أبواب المدخل الرئيسي

تقوم خلف رواق المدخل الرئيسي، ثلاثة أبواب ضخمة، ذات فلتتين كبيرتين، صنعت من الخشب المنقوش، تحيط بها أزرار، وتحليها أشكال هندسية. وكل باب تعلوه نافذة كبيرة، مرتفعة،

معقودة ومزججة، وتزينها تشبيكات معدنية. ويتضح التناسق بين فتحات المدخل والأبواب، وبهو القاعة الرئيسية (الصورة 7).

6 - القاعة الرئيسية

تتكون القاعة الرئيسية للبريد المركزي من بهو في الوسط ثماني الزوايا، يحيط به رواق جانبي متعدد الزوايا. وتفصل بينهما ثمانية أعمدة، تحمل السقف والقبّة الكبيرة الرئيسية. وتفتح في هذه القاعة نوافذ كبيرة، مرتفعة، معقودة وهي مزججة متعددة تزينها أشكال هندسية معدنية. ويظهر أن المعماري تصرف في إدخال الضوء بكثرة، تمشياً مع ما تتطلبه شبابيك التي خصصت لها القاعة. ويعتبر التنسيق بين الضوء والفضاءات من خصائص العمارة الإسلامية (الصورة 8).

7 - أعمدة وتيجان القاعة الرئيسية

تتضمن القاعة الرئيسية على ثمانية أعمدة، تشكل البهو المثلث الزوايا، وترتفع عليها القبّة الرئيسية، ويقابلها ستة عشر عموداً بزوايا الجدار الذي يحيط بالقاعة، وهي بذلك تشكل الرواق الذي يحيط بالبهو، ويرتفع عليها سقفه. وجميع الأعمدة نحتت من الرخام، وهي أسطوانية، تحمل تيجان نحتت كذلك من الرخام. أما التيجان فهي مثمنة الزوايا، ذات قاعدة أسطوانية. ونقشت على كل تاج زخرفة نباتية ذات توريقات وثمار الصنوبر، تعلوها حطات من الأغصان الملتوية والتوريقات، مشكلة أطباق تحيط بها مربعات (الصورة 9).

8 - عقود القاعة الرئيسية

تحيط ببهو القاعة الرئيسية ثمانية عقود، تشكل طوقاً ثماني الزوايا، وتتوازي مع ثمانية بجدار القاعة. وتربط بين المجموعتين مقاطعة لها، مجموعة عقود أخرى، تشتمل على ستة عشر عقداً. وهي بذلك تكون ست عشر بأكمة، بحيث تتناوب ثماني بأكات مربعة مع ثماني بأكات مثلثة، يتجه رأسها نحو البهو، وقاعدتها عند جدار القاعة.

وتتميز جميع العقود بالنوع المدب المتجاوز المسنن. وتزين ركنياتها بزخرفة نباتية توريقية، محلاة بأزرار نجمية، وهي من النقش المحفور (الصورة 10).

9 - سقف رواق القاعة الرئيسية

يرتفع سقف الرواق فوق البأكات المربعة والمثلثة المتناوبة، والتي تكونها عقود القاعة الرئيسية وأعمدتها. وبذلك ينقسم السقف إلى ستة عشر قطاع زخرفي يحيط بكل واحد منها طوق من المقرنصات. ويتزين كل قطاع بزخرفة نباتية داخل أشكال هندسية، منقوشة على الجص المحفور، ويتوسطها مخروط ثماني الزوايا، تتجمع فيه الأغصان، وهو يقوم مقام طبق مقعر أو قبة صغيرة (الصورة 11).

10 - قاعدة القبة الرئيسية ورقبتها

تنتصب قبة كبيرة فوق بهو القاعة الرئيسية، وترتكز قاعدتها الثمانية الزوايا على العقود الثمانية التي تحيط بالبهو، بتخطيط ثماني الزوايا. وبعد ذلك يرتفع طوق من مقرنصات الخناصر، وهو بمثابة رقبة القبة. وبهذا الشكل والزخرفة، تكاد لا تظهر مقرنصات الزوايا، ولكن يتضح التناسق والتنوع في الزخرفة ونمط البناء (الصورة 12).

11 - القبة الرئيسية للبريد المركزي

تقدم القبة الرئيسية من الداخل صورة في غاية البهاء والجمال الفني. فنقشت زخرفتها على الجص المحفور. ويتمركز بها طبق تحليه زخرفة نباتية، تشع منه متشابكات مكونة أشكالا هندسية مختلفة، ونجوما في تخطيط دوائر. وبداخل تلك الأشكال، نقشت زخرفة نباتية في شكل دوائر، وتتكون عناصرها من الأغصان، وثمار الصنوبر، والأزهار، والتوريقات. وتتعلق الزخرفة من مركز القبة إلى طوق المقرنصات في تدرج وانسجام وتناسق تام (الصورة 13).

12 - حطات الجص المنقوش

بداخل القاعة الرئيسية للبريد المركزي، تسيطر زخرفة الجص المحفور على كامل الجدران، ومن أعلاها إلى بلاطات الخزف في الأسفل. وتقدم الجداريات زخرفة دقيقة مختلفة الأشكال، حتى تترك المجال لتنوع الذوق وتغييره. وتنوع عناصر

الزخرفة من نباتية وأشكال هندسية وكتابية، ولكنها متداخلة في انسجام وتناسق دقيق. فالزخرفة النباتية تتكون من توريقات وثمار الصنوبر وأزهار، تتداخل معها وتحيط بها أشرطة من الأغصان، في شكل تشبيكات وأشكال هندسية. كما تتداخل التوريقات مع الكتابة (الصورة 14).

13 - الكتابة

تنتشر الكتابة على كل جدران القاعة الرئيسية للبريد المركزي، وهي بمثابة العنصر الأساسي في زخرفة الجص المحفور. وتتكون من أشرطة تتكرر فيها عبارة "ولا عالي إلا الله" وهي تؤطر حليات الزخرفة النباتية، وأشرطة أخرى تتكرر فيها عبارة "لله الملك - الدائم الله - الله القائم"، وهي تؤطر حليات كتابية، نقش على بعضها "اختارها جونار والينا"، وعلى بعضها الآخر "البنا العالي حلاها" وعلى جدارية "للتلغراف والتلفون انشاها". ونقشت هذه الزخرفة الكتابية بأحرف أندلسية مختلفة الشكل والحجم، ومتداخلة بتوريقات نباتية (الصورة 15).

14 - بلاطات الخزف

تكسو بلاطات الخزف الملون ذي البريق المعدني، أسفل جدران القاعة الرئيسية للبريد المركزي، وهي تزينها زخرفة نباتية من أزهار، وشريط توريقات، ثم شريط لرؤوس أشجار السرو في أعلاها (الصورة 16).

الخاتمة :

لقد خلد "شارل جونار"، الذي كان حاكما عاما للجزائر، سياسته، بإحياء التراث الإسلامي المعماري في تشييد البريد المركزي بمدينة الجزائر وغيره. وكان تقليد فن العمارة الأندلسية وزخرفتها أساسيا في البناء. حيث أبدع المعماريون والفنانون في استعمال عناصر العمارة الإسلامية الأندلسية وزخرفتها في بناية حديثة. وكانت النتيجة هي ظهور حلية معمارية وظيفية وأنيقة، ذات زخرفة واسعة ومتنوعة. وذلك ما جعل يطلق عليها "طراز الموريسكية الجديدة".

ويلاحظ إعجاب "H. Klein" بزخرفة البريد المركزي، حيث قدم في "أوراق الجزائر" وصفا مختصرا لتلك الزخرفة، كما قدم الدلالة الدينية لها، وما يرمز إليه كل عنصر وشكل من عناصرها وأشكالها.

الهوامش :

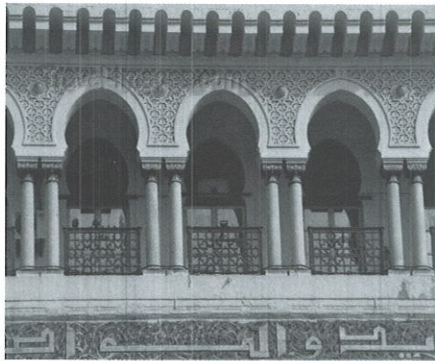
- 1) - أبو قاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية 1900 - 1930 ، ج. 2 ، ط. 3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1983 ، ص. 137-140.
- 2) - Jean Vavas seur - Desperriers : Charles Jonnart et le parti colonial : économie et politique; Université Charles - de - Gaulle, Lille 3, p. 2.
- 3) - Jonnart Auguste : Un article de 1830 - 1962, Encyclopédie de l'AFN
- 4) - Vavas seur, op.cit., p.p. 3 - 4
- 5) - Charles Jonnart : Un article de Wikipédia, l'encyclopédie libre
- 6) - Nabila Oulebsir : les usages du patrimoine : monuments, musées et politique coloniale en Algérie (1830 -1930); éd, maison de sciences de l'homme, Paris, 2004, p.335
- 7) - Wikipédia, op. cit.,
- 8) - Auguste Jonnart : académie - française. fr / immortels
- 9) - Jean Vavas seur- Desperriers : République et liberté : Charles Jonnart, une conscience républicaine, 1857-1927, villeneuve-d'ASCQ; presses universitaires septentrion, 1996
- Jean Vavas seur- Desperriers, «préfs et élus : le cas d'un grand notable, Charles Jonnart», dans intendants et préfets dans le Nord -Pas -de -Calais, Arras, Artois; Presses Université; 2002
- 10) - Vavas seur : «parti colonial», op.cit., p. 10
- 11) - «parti colonial», ibid., p. 2
- 12) - Oulebsir, op.cit., p. 335
- 13) - Charles - Robert Ageron : Histoire de l'Algérie Contemporaine (1830 -1979), 7^{ème} éd , Presses Universitaires de France, Paris 1980, p. 66
- 14) - الشبكة الإسلامية- كتب الأمة 57، ص. 7؛ - Espanol. islamweb. net
- 15) - عائشة ي طو : «محمد بن أبي شنب : رائد المحققين الجزائريين» مجلة التراث العربي، العدد 106، السنة السابعة والعشرون، دمشق، نيسان 2007.
- 16) - أبو قاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقاية (1830 - 1954)، ج. 7 - 8، م. 4، ط. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2005، ص. 403.
- 17) - Oulebsir, op., cit., p. 335
- 18) - Ageron, op., cit., p. 67
- 19) - Mohamed Bouziane : «La grande poste d'Alger : patrimoine et monument d'Algérie»; Journal 3, le Journal de l'atelier d'architecture. 12 Juin 2008 (Université des sciences et de la technologie d'Oran), Algérie.
- 20) - Pierre Goinard; Algérie : l'œuvre française, 2^e éd. France, éditions Jacques Gandini, 2001, p. 269
- 21) - J.M -Lopez; Alger, la grande poste «Court historique sur la grande poste d'Alger » - PNHA, n° 88, mars 1998
- 22) - Samar Kamel : «Architecture d'Algérie : la grande poste d'Alger : un joyau de l'architecture néo -mauresque»; Journal de d'architecture, 3 juin 2008, op., cit.
- 23) - H.Klein : Feuilles d'El -Djezair, 1914, in Alger : la grande poste «Forum Algérie : Divertissement, Rencontres et voyages»



1 - واجهة البريد المركزي



2 - البريد المركزي وسطه.



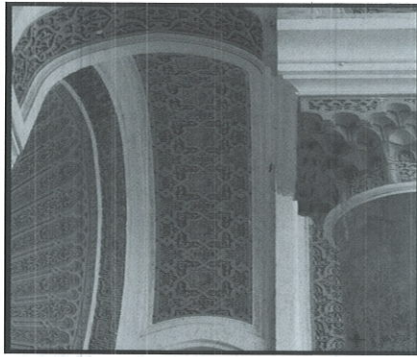
3 - الرواق العلوي الخارجي.



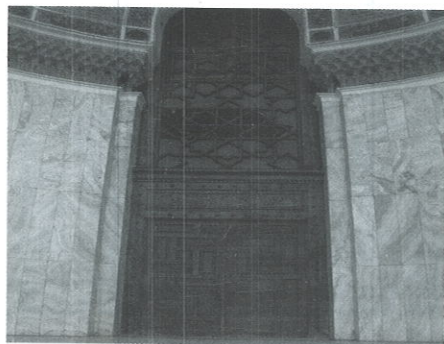
4 - المدخل الرئيسي للبريد المركزي.



5 - أعمدة وتيجان المدخل الرئيسي.



6 - زخرفة سقف رواق المدخل.



7 - أحد أبواب المدخل الرئيسي.



8 - القاعة الرئيسية للبريد المركزي.



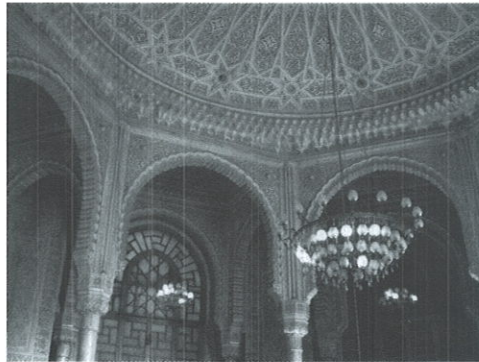
9 - أحد تيجان القاعة الرئيسية.



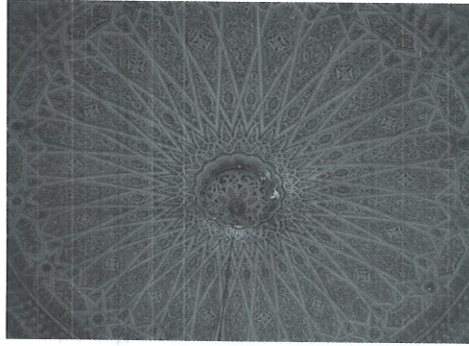
10 - عقود القاعة الرئيسية.



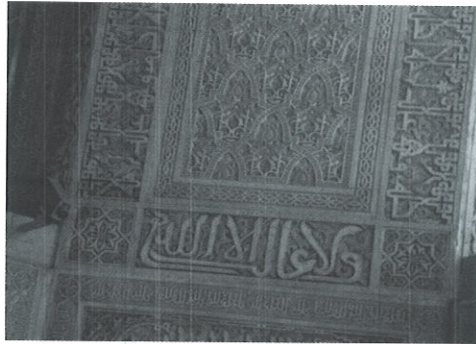
11 - سقف رواق القاعة الرئيسية.



12 - قاعدة القبة الرئيسية ورقبتها.



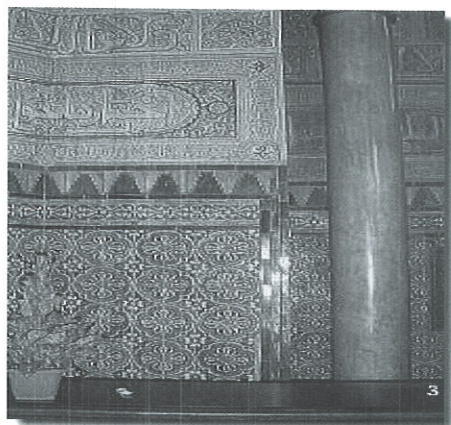
13 - القبة الرئيسية للبريد المركزي.



14 - الجص المنقوش بالبريد المركزي.



15 - كتابة البريد المركزي.



16 - خزف البريد المركزي.

—

